الكتابة الأدبية النسوية في الجزائر

_ من الإرهاص إلى التأسيس _

Feminist literary writing in algeria

-From concept to foundation

سعاد أوقاسي *

د.رشيد كوراد ♣

تاريخ الإرسال: 2020/01/26	تاريخ القبول:2020/03/11	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

يتناول هذا المقال تتبع بواكير الكتابة النسوية في الجزائر والتحولات التي شهدتها هذه الكتابة في مسيرتها الإبداعية، سواء على مستوى المضامين أو البناء الفني العام ويأتي هذا الاهتمام بمثل هذه الظاهرة الأدبية نتيجة للحيّز الذي شغلته المبدعة الجزائرية على مستوى الكتابة، خاصة في الربع الأخير من القرن العشرين. واللّافت للانتباه أنّ التجربة الإبداعية النسوية في الجزائر مرت بمراحل تاريخية هامة منذ بدايتها الأولى حتى مراحلها الحديثة، فمن الغياب أو الصمت الذي ساد بداية السّتينات نتيجة التّهميش وانتشار الأمية إلى الحضور الفعّال والمتميز في التسعينات وبداية الألفية، فقد كانت تجربة متنوعة أثرت الساحة الفنيّة في الجزائر وأصبحت لها مكانة لا يستهان بها على المستوى المحلي والعربي .

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي، الجزائر، المرأة، الرواية.

المؤلف المرسل: سعاد أوقاسي oukacisouadmedea@gmail.com

* جامعة الجزائر02 البريد الإلكتروني: oukacisouadmedea@gmail.com

♣ جامعة الجزائر02 البريد الإلكتروني: kourdrachid@yqhoo.fr

Abstract:

This article deals with the beginnings of female writings in Algeria and all the translations which have moreover undergone its creative path according to its content and general artistic structure, this interest came from this literary phenomenon and it is the result that the creative Algerian woman gave especially to the last quarter of the twentieth century. It's remarkable that the Algerian female writing as well as her creative experience in Algeria underwent several important historical stages from the beginning to the last modern stages such as absence or silence especially in the sixties, more marginalization and spread of ignorance until the action stage and the distinction in the nineties and the beginning of the millennium which gave the fruits of several creative and productive female feathers in the artistic and literary milieu in Algeria and consequently, it found a considerable place in its local environment and in the Arab world.

***Key words**: female literature , Algeria ,woman , the novel.*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

مقدمة:

شهدت الحركة الأدبية النسوية في الجزائر نشاطاً متزايداً في الآونة الأخيرة، حيث برزت على الساحة الأدبية أديبات مبدعات استقطبن اهتمام القراء والباحثين المعاصرين وعبرن عن حضورهن وتميزهن في مختلف الأشكال الأدبية سواء شعرا أو قصة أو رواية، فأصبح لهذا الأدب أسماء كثيرة أثبتت ولا تزال وجودها وفعاليتها إذ حققت المرأة الجزائرية بوصفها كاتبة حضورا متميزا واستطاعت أن تثبت قدرتها على امتلاكها ناصية اللغة ومن ثم قدرتها على الخلق والإبداع والتعبير عن ذاتها بعد أن ظلت الكتابة ولزمن طويل حكرا على الرجل.

إرهاصات الكتابة وبداية التأليف:

إن المتطلع على الساحة الأدبية الجزائرية قبل الاستقلال فلا شك أن يدرك أن النشاط الأدبي وحركة التأليف النسوي في بدايته كان محدودا أو ضيقا نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي كانت تعيشها الجزائر، والتي أثرت سلبا على المجتمع عموما والمرأة خصوصا.

وتشير الدراسات إلى أن الإرهاصات الأولى للكتابة النسوية بدأت في الظهور مع مجموعة من النساء في شكل نخبة تصدّرن الحركة النسوية الإصلاحية بالجزائر خاصة بعد الحرب العالمية وأصبح البعض منهن يكتبن وينشرن في الصحف والمجلات، ويؤلفن القصص وينظمن الأشعار[1]، ولم تكن هذه القلة لتكتب لولا جهود الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في تعليم المرأة، فكان أول من أولى اهتماما بالمرأة وشؤونها، وفتح أقساما خاصة لتعليم البنات في مدرسة التربية والتعليم بمدينة قسنطينة، وفي كل مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مستوى التراب الوطني، كدار الحديث بتلمسان ومدرسة الفلاح بوهران ومدرسة التربية والتعليم بباتنة ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر"[2]، ولذلك يمكن القول أنّ الوعي الثقافي العربي النسوي قد بدأ يتشكل في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931) وكانت البداية الأولى للكتابة النسوية عبارة عن مقالات إصلاحية تتناول قضايا اجتماعية، الهدف منها توعية المرأة وتوجيهها للمساهمة الفعالة في بناء المجتمع ومن بين المقالات التي كتبت في تلك الفترة المقال الذي اكتتبته "**فتيحة كاهية** " في (البصائر الثانية) سنة 1948، بعنوان (نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة)، كما كتبت " **زليخة إبراهيم عثمان** " عن البصائر مقالا يشيد بها وبجمعية العلماء، ثم بدأت المقالات النسوية تتوالى وكانت البصائر في سلسلتها الثانية (1947، 1956) الحاضن الأكبر للمرأة الجزائرية وكتابتها الأولى"[3] ومن ضمن البواكير في عالم الكتابة النسوية " مرثية جميلة نشرتها كاتبة من قسنطينة **اسمها مليكة بن عامر** بعنوان (رسالة إلى روح فتاة) ثم نشرت مقالا على جانب عال من الوعي بقضايا الأنوثة سمته (نداء للفتيات من فتاة) "[4] غير أن هذه الأقلام لم تدم طويلا ولم تواصل منهن الكتابة سوى **آسيا جبار، سليمان فرنسي وزهورونيسي**، التي كانت تشق بقلمها طريقا نضالا، فكانت أكثر الأسماء إبداعا واجتهادا وإصرارا على الكتابة والدليل على ذلك المجموعة الكبيرة التي نشرتها من مقالات وقصص في فترة الخمسينات وهي لا تزال في شبابها. ومن ضمن هذه المقالات (إلى الشباب)، (فائدة العلم والعمل) أما القصص فنشرت قصة (الأمنية) و(نتيجة مؤلمة).

هكذا إذن بدأت المرأة الجزائرية تخطو خطواتها الأولى في الكتابة، وإن كانت هذه الكتابة في بدايتها بسيطة ساذجة من حيث البناء الفنّي، إلا أنّها كانت على قدر كبير من النّضج والوعي بقضايا الوطن والمجتمع عموما وبقضايا المرأة ومكانتها الاجتماعية خصوصا.

أما الكتابة النسوية كمفهوم نقدي وجمالي ظهرت متأخرة في الجزائر وهو تأخر طبيعي جرّاء الأوضاع التاريخية والثقافية والاجتماعية التي مرّ بها المجتمع الجزائري في حركيته التاريخية الصعبة التي لم تعرف الاستقرار والهدوء، وفي هذه الأجواء غير المشجعة على الكتابة فإن المرأة لم تقتحم مجال الإبداع والكتابة بمفهومها التأسيسي الآخر أواخر السبعينات، فقد أقر **أحمد دوغان** في كتابه "الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر " تأخر ظهور الأدب النسائي الجزائري مقارنة مع الدول العربية التي قطعت أشواطا في التأليف، و"هذا ما يجعلنا نقول أن هذا الأدب وليد الستينات وبصورة أدق هو من مواليد السبعينات، عدا الرواية التي ضلت غائبة حتى عام 1979 لتطل علينا رواية "من يوميات مدرسة حرة " ... وكان هناك مشروع رواية في أدب الراحلة **زليخة السعودي** إلا أن رحيلها حال دون ذلك "[5].

أسباب تأخر الحركة الأدبية النسوية في الجزائر:

تجمع الدراسات على أن أهم الأسباب التي أعاقت ظهور الأدب النسوي الجزائري هي ظروف الاحتلال الفرنسي الذي انتهج سياسة مناهضة للغة العربية، حيث وضع الثقافة في وضع شلّ فاعليتها وحركتها مما نتج عنه تأخر الأدب الجزائري عن مثيله في المشرق العربي ومن ثم تأخر ظهور الحركة الأدبية النسائية نتيجة الحصار المضروب على الثقافة والأدب العربيين في حين شجع لغته، الأمر الذي سمح لكثير من الأسماء النسائية اللائي اتخذن من اللغة الفرنسية وسيلة للكتابة، وهذا ما جعل الأدب النسوي الجزائري المكتوب بالفرنسية سياقا في الظهور وتحديدا في الخمسينات من القرن الماضي.

كما يعود تأخر الكتابة النسوية بالجزائر إلى التقاليد الاجتماعية التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية تنطوي على كثير من الاحتقار وترى أن وجودها في الحركة الاجتماعية والثقافية والأدبية يثير الفتنة ويشجع الانحلال، مما كبّلها وفرض عليها قيود وعزلة وتجاهل

لطاقتها الابداعية بل ومحاربتها حتى وإن حاولت ذلك،[6] وفي هذا الصدد تحضرنا مقولة للكاتبة **جميلة زنّير** وهي تصف انتحار الشاعرة **صفية كتو** بقولها: "الموت المأساوي رسالة احتجاج قاسية اللهجة من ذات كاتبة أنثوية عانت القهر والقمع الاجتماعي لا لشيء إلا لأنها متهمة بخطيئة الكتابة "، كما تقول ذات الكاتبة كنت أكتب من غير أن يطلع أحد على كتاباتي أو يشجعني حتى على مواصلة الكتابة، فتلحظ أن القمع ينطلق من الأسرة إلى المجتمع (القبيلة)، هذا المجتمع القبلي يمارس عليك قمعا آخر أشد وأقسى، عدم الاهتمام بما تكتب فهو لا يشجعك لأنه يرى هذه الأشياء ضربا من العبث وتدخل في خانة لا (يجوز)، فكنت أول فتاة في جيجل تتجرأ على كسر أعراف القبيلة وتنشر اسمها عبر الإذاعة في أواخر الستينات وبداية السبعينات[7]. وإذا كانت **جميلة زنير** تصف تجربتها بجرأة وألم دون أن تعتمد أسلوبا مستفزا في طريقة كلامها فإن الأديبة **زينب الأعوج** تتخذ موقفا فيه شيء من الاستفزاز حيث تصف المجتمع الجزائري بـ "المتخلف والمريض" حيث تتعلق القضية بالمرأة والكتابة فتقول المجتمع مثقل بالتقاليد البالية، بإرث طويل من الظلم والفكر الإقطاعي، إنه مجتمع يمشي على كثير من جثث النساء البريئات [8] ولعلّ التصنيف الذي تتعرض له الكاتبة ووقوعها تحت ضغط الظروف الاجتماعية القاهرة التي يفرضها النظام الأبوي البطريكي Le Patriarcat * جعل المرأة الكاتبة تتحايل من أجل إثبات وجودها وذلك بنشر أعمالهن بأسماء مستعارة أو أسماء مزيفة، هروبا من الأسرة والنقد الاجتماعي أو تنصلا من المسؤولية في حال ارتكاب خطآ شخصي خلال الكتابة، كما فعلت الكاتبة الجزائرية الكبيرة **فاطمة الزهراء ايمالاين**، حيث نشرت روايتها الأولى (العطش: la soif) سنة 1957 باسمها المستعار (آسيا جبار) قائلة: " لا أريد أن يعلم أبي وأمي بأنني كتبت رواية "، وكما تفعل فضيلة الفاروق التي تصرح بسر ايثارها للاسم المستعار قائلة: استعملت الاسم المستعار لأتحمل أنا مسؤولية ما أكتب ولا أحمّل عائلتي أعباء ما يترتب على أفكاري الشخصية[9] وعلى ما يبدو أنه ليست المرأة الجزائرية أو العربية من تعاني من هذا التصنيف الذكوري المهيمن، فالباحث في المشهد الثقافي الغربي وتحديدا الفرنسي، يلحظ أن المرأة في الغرب عانت نفس ما عانته المرأة الجزائرية في بداية مسيرتها الابداعية، فهذه الناقدة الفرنسية **إلين شوالتر**

Elaine Showalter قامت بتقسيم الكتابة النسوية التي أغفلها النقاد وتجاهلوها إلى ثلاثة مراحل ومن بين هذه المراحل نجد المرحلة الأولى التي تبدأ من عام 1840 حتى 1880 حيث أشارت على أنها المرحلة الأنثوية وتضم كاتبات مثل **جورج اليوت** و**اليزابيث جاسكال** والكاتبات في هذه المرحلة يحترمن المنظور الذكوري المهيمن، وهذا المنظور يتطلب أن تبقى المرأة الكاتبة بصراعة في مكانها المقبول اجتماعيا ومن هذا المنظور وجدت **ماري آن ايفانزا** أنه من الضروري والهام اعتماد الاسم الذكري **جورج اليوت** في الكتابة، في هذه المرحلة تحديدا كانت الكاتبة الفرنسية تكتب أسماء مستعارة وهي أسماء ذكورية[10]، ولعل أشهر ما يستدل به على هذا التأليف الكاذب في الثقافة النسوية الفرنية، " ما قامت به الكاتبة الفرنسية الشهيرة **جورج صاند** / George Sand (1804- 1876) حين وقعت بعض مؤلفاتها الأولى باسم زوجها **جول صاندو** / Jules Sandeau (1811- 1883) "[11]، وما يبدو واضحا وبات مؤكدا أن وضع المرأة الكاتبة في مجمله متشابه سواء في الجزائر أو في العالم العربي أو في العالم الغربي، " وهذا يعني أن المشكلة الأولى لدى الكاتبات هي أنوثتهن، لا كعقبة جسدية ولكن كعقبة تعبير إذ هناك كتابات نسوية، لكنها تتسم بمجموعة من الصفات التي تقلل من وزنها"[12]، وعلى هذا الأساس جاءت التجربة الابداعية النسائية في الجزائر عموما شحيحا سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف خاصة منها ما هو مكتوب باللغة العربية.

ظهور وتطور الكتابة النسوية:

عرف الأدب النسوي في نهاية الستينات وبداية السبعينات صحوة عارمة مكنّة من أخذ مكانة بارزة في المشهد الثقافي العربي والمحلي، وما كان للصحوة الروائية النسوية العربية في الجزائر أن تكون لولا تظافر عدّة عوامل نوجزها فيما يلي:

- بعد الاستقلال مباشرة قامت الدولة الجزائرية بإصلاح التعليم فأولته عناية كبيرة، حيث قامت بإصلاحه وذلك بمحاولة القضاء على المنظومة التعليمية الأجنبية، وبناء مدارس في كل ربوع الوطن والتدريس باللغة العربية. وفي ظل هذا السياق التاريخي تطور الوضع التعليمي للمرأة وتحسن مستواها الثقافي مما مكنها من المشاركة في قضايا وطنية واجتماعية

وسياسية وثقافية وبدأت تكتشف قدراتها الإبداعية والفكرية، فانخرطت في مجال الكتابة والإبداع والتأليف.

- ظهور "المجلة الجزائرية " وهي مجلة شهرية يصدرها الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، صدر عددها الأول 1970 قامت برئاستها الأديبة **زهور ونيسي**، ودامت أنثي عشر سنة وهي تحرر افتتاحياتها وتقوم على تسييرها. فكانت هذه المجلة أول مجلة نسوية في تاريخ الصحافة الجزائرية تعني بقضايا المرأة وانشغالاتها واهتماماتها الفكرية والإبداعية.

- الدور المتميز والجوهري الذي لعبته الصحافة الوطنية والمجلات العربية في دعم المنجز الإبداعي والنسوي والتعريف به.

- أهمية الجمعيات الثقافية والملتقيات الأدبية في تشجيع الكتابة النسوية، فكانت هذه الأخيرة بمثابة المتنفس الفعلي للكتابة.

تجليات الكتابة النسوية:

- استطاعت المبدعة الجزائرية أن تفرض وجودها في الساحة الأدبية، حيث ظهرت أقلام نسوية بارزة تألقت في مجال الإبداع الأدبي وتميزت في مختلف الأجناس الأدبية (مقال، شعر، قصة، رواية).

- أخذ الأدب النسوي الجزائري مكانة مرموقة في المشهد الثقافي العربي، وانتزع الجوائز والمراتب الأولى كزينب الأعوج التي فازت أخيرا في مسابقة نازك للملائكة للإبداع النسوي الشاعري في دورتها الرابعة بالعراق والشابة الاعلامية والروائية **هاجر قويدري** التي فازت بجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي عن روايتها " نورس باشا" وهي من أهم الجوائز الروائية في العالم العربي.

- ومن مظاهر تطور الكتابة النسوية، أنها احتلت مكانة مهمة في الصالون الدولي للكتاب في طبعته الثانية والعشرون، أين وصل عدد الكتب التي تناولت قضايا المرأة أو كانت مؤلفة من طرف المرأة 40 % من مجموع الكتب المعروضة في الصالون، ما يبرز أهمية التطور الملحوظ للأدب النسوي في الجزائر، كما أكدت الكاتبات الجزائريات اللواتي تواجدن في

الصالون الدولي للكتاب أن المرحلة المقبلة ستكون مهمة في تاريخ الأدب النسوي في الجزائر وقد صرّحت الأديبة **ربيعة جلطي** في ذلك بقولها " متفائلة جدا وأظن بأن العشرة سنوات المقبلة ستكون هناك أسماء مهمة جدا، ستعطي المرجعية المشرقية التي نعود إليها دائما بطبيعة الحال، هناك أسماء مهمة جدا الآن التي تضيئ الساحة الثقافية[13] والإبداعية في العالم العربي... القادم مهم جدا بالنسبة للأدب في الجزائر".

قراءة في المنجز الأدبي النسوي:

استطاعت الكاتبة الجزائرية أن تتبوأ مكانة مرموقة في الأدب وفي مختلف مجالاته، سواء شعرا أو قصة أو الرواية وفي ما يلي نحاول تتبع مسيرة الكتابة النسوية في الجزائر من خلال التركيز على تحولاتها سواءً على مستوى المضامين أو البناء الفنّي العام:

1- الشعر:

يرى **يوسف وغليسي** أنه من الصعب (إن لم يكن مستحيلا) أن يعثر الباحث على قصيدة نسوية نظرا لقلة ما كان ينشر في صحافة ما قبل الاستقلال لذلك من الصعب أن نجزم بالقول أن هذه القصيدة أو تلك هي أول قصيدة في تاريخ الشعر النسوي الجزائري، لكن مع بدايات الاستقلال (خلال منتصف الستينات تحديدا بدأنا نطالع البواكير التي بدأت تحتفي بأسماء نسوية قليلة،[14].

من جملة الشاعرات المؤسسات اللواتي لم نجد لهن ذكرا في دراسة **أحمد دوغان**، بينما ذكرهن الباحث **يوسف وغليسي** في كتابه خطاب التأنيث حيث يقول، "بعد تنقيب مضن في أرشيف الصحافة الوطنية، يمكنني أن أسمي الشاعرة (**سكينة العربي**) التي نشرت قصيدة بعنوان (النجم الذي هوى)، وجاءت القصيدة في 21 بيتا إلى جانبها الآنسة **منى** هكذا كتب اسمها ملازما لعنوان قصيدتها (أغنية لفلسطيني) التي وقعتها في الختام باسم (منى الجزائرية) (....) وقصيدة أخرى بعنوان (أصالتي) للشاعرة (صليحة مؤمن)[15] ولعل ما يميز هذه القصائد من حيث المضمون أنها قصائد وطنية ثورية يهيمن عليها الحماسة الوطنية والانفعال القومي.

لكن البداية الفعلية التي نؤرخ بها لبواكير الشعر النسوي في الجزائر هي المجموعة الشعرية براعم الصادرة في 1969، للشاعرة " **مبروكة بوساحة** " وهي مجموعة تضم ما يقارب الأربعين قصيدة من ديوان هو الأول من نوعه في تاريخ القصيدة النسوية الجزائرية.

" وما يميز أشعار **مبروكة** أنها ذاتية تتغنى بعواطف الحب وذكريات الوصال وآلام البين وبتاريخ الأشواق " [16] وعندما نقرأ شعرها فإننا لا نرى التأنق في اللفظ أو التكلف في الصنعة (.....) فالوضوح والبساطة ظاهر بصورة عامة في الديوان "[17] وهناك أدبية أخرى يمكن اعتبارها من الرائدات اللواتي خضن مجال الكتابة الشعرية هي الشاعرة " **زوليخة السعودي** " ولكن ما يميزها أنها قليلة الكتابة الشعرية مقابل كتاباتها السردية الغنيّة ثم تبرز **أحلام مستغانمي** التي هيمنت على الساحة الشعرية النسوية ويقسم **أحمد دوغان** شعر **مستغانمي** إلى مرحلتين، " تضم المرحلة الأولى أشعار مجموعتها الأولى (على مرفأ الأيام) الصادرة 1972 والمرحلة الثانية تتمثل في مجموعتها الثانية (الكتابة في لحظة عري) الصادرة عام 1976 "[18] وما يميز المرحلة الأولى اتسامها بأمرين الغنائية والواقعية، أما المرحلة الثانية فكانت فيها الشاعرة أكثر جرأة وتمردا على كل قوانين الفن " إننا أمام نصوص جديدة تتجرد فيها أحلام مستغانمي عن كونها شاعرة وتكتب بأسلوب المذكرات حينا و آخر بأسلوب مراسلي وكالات الأنباء "[19]، ومع أواخر السبعينات وبداية الثمانينات ظهرت أعمال أخرى للشاعرة **زينب الأعوج** " يا أنت من منا يكره الشمس " 1979، واللاّفت للانتباه أن كل قصيدة من قصائد زينب هي " انتماء والتزام ليس من باب التقليد وانما من حيث التجسيد بما تؤمن به (...) أما التعبير اللغوي لدى **زينب** – ايديولوجيا- ينتمي إلى الواقعية وأدق إلى الواقعية (...) هذا يعني أن الواقع المعيش سيطر سيطرة كاملة على لغتها وهذا لا ينقص من الناحية الفنية شيئا بل أن الفنان هو الذي يتمثل قضيته من خلال تشخيصه الفني " [20]، أما **ربيعة جلطي** نشرت لها أول قصيدة في جريدة الجمهورية عام 1975 وكتبت " تضاريس لوجه غير باريسي " 1981، وفي نفس السنة كتبت **نادية نواصر** " راهبة في ديرها الحزين " 1981 وكتبت **ليلى راشدي** " متاهات الصمت " 1982، ومن الدواوين الجميلة التي تستوقف

الباحث في الشعر النسوي الجزائري، هو ديوان (جزيرة حلم) للشاعرة نورة سعيدي، الذي كتبت فيه الشاعرة بلغة ربيعية رومانسية جميلة.

وهكذا يمكن القول أن بواكير الشعر النسوي في الجزائر كانت على يد كوكبة من الشاعرات الجزائريات والتي مثلتها كل من **سكينة العربي، زوليخة السعودي، مبروكة بوساحة، جميلة بوساحة، أحلام مستغانمي**... وغيرهن من الأسماء التي انصرفت إلى كتابة القصة، لأن الشعر في اعتقادهن، غير قادر على رصد كل خلجاتهن ولا يستوعب ما بداخلهن، لذلك اتجهن لكتابة القصة لأنها تمنحن حرية في التنفس والتعبير أكبر.

2- القصة:

تتفق معظم الدراسات التي قاربت نشأة القصة النسوية في الجزائر على أن ما أسهمت به **زهور ونيسي** في مجموعاتها القصصية يمثل بوادر الكتابة الابداعية النسائية الجزائرية خصوصا في مجموعاتها " الرصيف النائم " التي ظهرت عام 1967 وكانت أول مجموعة قصصية أدبية جزائرية تكتب باللغة العربية، تناولت فيها موضوع الثورة بكل أبعادها وانعكاساتها على الشعب الجزائري " لذلك فإننا نرى أثر الثورة واضح الملامح في قصصها وكان صداها لا يغادر قلمها، فالأديبة كانت ممن عاشوا حرب التحرير وهي تعترف بها في قولها: " أستطيع أن أزعم إنني عشت حرب التحرير على أعصابي " ... فلا غرابة إذا في أن تتجلى ثورة نوفمبر بارزة في قصص **زهورونيسي** بكل أشكالها النظامية[21] وهذا لا يعني أنها تخلت عن الواقعية بوجهها الآخر الاجتماعي، ففي المجموعة القصصية " على الشاطئ الآخر " عالجت الأديبة قضايا اجتماعية وبصورة خاصة واقع المرأة الجزائرية التي ورغم تحررها من الاستعمار إلا أنها بقيت أسرة التقاليد، فتناولت قضايا الزواج وقضايا الأسرة... إلخ، لا تقصد عرضها فقد وإنما لمعالجتها.

إلى جانب **زهورونيسي**، برزت الأديبة **زوليخة سعودي** في وقت كان الصوت النسائي في ميدان الكتابة الأدبية يكاد يكون معدوما، فالنّتاج الأدبي لهذه الكاتبة المبدعة يمثل مرحلة متطوّرة في القصّة العربية المعاصرة في الجزائر "خاصة اذا علمنا أن زوليخة عرفت طريق النشر منذ بداية الستّينات، أي أنها عرفت الكتابة قبل الاستقلال أو معه"[22]، نشرت

بعض قصصها في مجلتي (آمال) و(الفجر) ومن هذه القصص (عازف الناي)، (الجرح والأمل)، (من البطل)، (من وراء المنحى)، (عرجونة). للأسف اعتدت تجربتها القصصية إلى غاية 1972، حيث وافتها المنية وبقي الكثير من انتاجاتها الأدبي مفقودا إلى أن قام الباحث **شريبط أحمد شريبط** بجمع العديد من أعمالها في كتاب أسماه " الآثار الكاملة لزليخة سعودي " يرجع له الفضل في التعريف بهذه الأديبة وبأعمالها التي وصفت بشهادة من عاصروها أنها أعمال تتميز بالتنوع في مختلف الأجناس الأدبية، والبراعة في خوضها في جملة من المواضيع، فلم تلتزم بالكتابة في قضية واحدة فكما يرى الباحث **شريبط أحمد شريبط** أنها " تطرقت إلى الموضوعات التي كانت تشغل بال المثقف الجزائري من نهاية الخمسينات (...) اشغلت على أدب الثورة والأدب الواقعي اشتغلت أيضا على موضوع الهجرة الجزائرية والموضوع البارز في كتابتها القصصية هو الحرمان الاجتماعي، الجانب الواقعي خاصة وإن منطقة خنشلة في بدايات الستينات كأغلب المدن الداخلية البعيدة على الساحل كانت تعاني من الفقر والجوع والحرمان "[23] ومن هنا جاء اهتمامها بهذه الموضوعات وبالنظر إلى الإنتاج الأدبي لـ **زوليخة سعودي**، أكد الكثير من الأدباء أنها كتبت قصصا قيمة، " تمتاز بدقة الوصف وبتصوير جميل لأشخاصها "[24] بالإضافة إلى استخدامها " الأسلوب الروائي وطريقة عرض الحدث من النهاية "[25] أما في ما يخص اللغة التي كتبت بها الروائية قصصها، فهي لغة " عبرت من خلالها عن ادراكها الكامل لمقومات اللغة القصصية، من حيث تركيب الجملة الاستفهامية التي استغنت بها عن الحوار "[26] ما يثبت أن كانت تكتب بطلاقة وفصاحة بلاغية كبيرة.

وتنضاف إلى الساحة الأدبية النسوية القاصة والكاتبة **جميلة زنير**، فقد عدها النقاد أهم قلم نسوي بعد الاستقلال في مجال الكتابة القصصية الجزائرية و" رغم قدرتها على الخوض في شتى الأشكال الأدبية من شعر وقصة ورواية مع التنويع في الكتابة للكبار... إلا أن المتابعين لإنتاجات هذه المبدعة يلاحظون تميزها في مجال القصّة القصيرة"[27] ، كتبت مجموعة من القصص كانت القصة الأولى بعنوان " لن يطلع القمر " 1972 أما القصّة الثانية جاءت بعنوان (حب في القرية الوديعة) تصدر عام 1977، ونشرت العديد من

الصحف والمجلات الوطنية والعربية من هذه الأعمال أعمالها في دائرة الحلم والعواصف (1982)، الصرصور المتجول (1991)، جنّية البحر أوشام بربرية، الطفل والشجرة، تداعيات امرأة قلبها، إلخ والقارئ للأعمال القاصة، يلمح فرقا بين كتاباتها في المرحلة الأولى وبين كتابتها في المرحلة الثانية فيمكننا ملاحظة مسار تجربتها على الصعيد اللغوي إذ أصبحت تكتب بلغة شعرية وتوظيف الأسطورة التي تبرز جليا في قصتها " جنية البحر " ما يثبت أنها أصبحت أكثر تطورا وقدرة على العطاء.

بالإضافة إلى أسماء أخرى برزت في مجال الكتابة القصصية النسوية، كـ **خيرة بغدود، وليلى بن سعد اليعقوبية** وكمحاولات قصصية، نجد **حفصة بودية، نورة السعدي، ربيعة جلطي** وأسماء أخرى ...، وعموما نستطيع القول أن **زهور ونيسي وجميلة زنير ونزيهة المسعودي وزوليخة سعودي** يمثلن الجيل المؤسس للإبداع القصصي النسائي في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، أما الأقلام النسائية الجديدة التي ظهرت في التسعينات كـ **صبايحية بن بركة، وفضيلة الفاروق وزهرة الديك**، هنّ كاتبات أسهمن مع الجيل المؤسس في ترسيخ جنس القصة وتأكيد حضورها في الأدب النسوي المعاصر، وهناك أسماء نسائية جديدة مثل **ياسمينة صالح، فهيمة طويل، جميلة طلباوي، جميلة خمار، نسيمة عبد الله وعائشة بنّورو**غيرهن وحسب الدكتور **بوشوشة بوجمعة** الذي تتبع المسار الابداعي النسائي في بلدان المغرب العربي في كتاب عنونه بـ" بيبوغرافيا الأدب النسائي المغاربي " أن عدد القاصّات في الجزائر يبلغ 21 قاصة أنتجن 26 مجموعة قصصية منذ 1967 غلى غاية 2007 وما يبدو واضحا أن القصّة القصيرة في الجزائر عرفت تراجعا في السنوات الأخيرة خاصة مع انتشار الكتابة، حيث صار كتابها قلة أو على الأقل لا يحضون بنفس الحضور الاعلامي والنقدي الذي يحظى به كتاب الرواية، فالقصّة في اعتقادنا أنها لم تعد تسع هموم المبدعات لذلك اتجهت أكثرهن إلى كتابة الرواية.

3- الرواية:

تعود نشأة الرواية النّسوية الجزائرية إلى الخمسينات من القرن العشرين وكانت البدايات باللغة الفرنسية، التي لقيت رواجا كبيرا كونها اللغة الرسمية آنذاك، وكان لزاما

التدريس بها في المدارس الحكومية وقتها. وتشكلت الرواية النسائية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي علا يد كوكبة من الروائيات الجزائريات اللواتي حصلن على نصيب وافر من التعليم في المدارس الفرنسية[28]، فبرزت أصوات أدبية وكانت الرواية الأولى لـ **جميلة دباش** بعنوان " ليلى فتاة من الجزائر " Leila la fille D'Algérie، ثم كتبت رواية " عزيزة Aziza " سنة 1955 وفي سنة 1947 كتبت **ماري لويز عمروش** روايته " الياقوتة السوداء Jacintle noir"، وفي 1957 تدخل **آسيا جبار** ساحة الكتابة السنوية بفضل روايتها الأولى " العطش La soif "، حيث عالجت فيه الكتابة مشكلة الزواج المختلط وظاهرة تحرير المرأة وبعدها نشرت رواية " القلقون: impatients " ثم "أطفال العالم الجديد: Les enfants du nouveau monde " 1962 وبعد الاستقلال أخذت الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية الثورة والقضايا الوطنية موضوعا لها، فبالرغم من أن هذا الأدب مكتوب باللغة الفرنسية لكن مضمونه جزائري وواقعه وقضاياه وطنية.

أما الرواية النسائية الجزائرية ذات التعبير العربي " فيؤرّخ لها النقاد بأول نص روائي صدر في أواخر السبعينات (من يوميات مدرسة حرة) لـ **زهور ونيسي** سنة 1979، واللاّفت للانتباه أن الرواية المكتوبة باللغة العربية جاءت متأخرة مقارنة بالرواية المكتوبة بالفرنسية التي قطعت أشواط تاريخية هامة على يد أدبيات جزائريات، لأسباب تاريخية، اجتماعية ثقافية، كنا قد ذكرناها سابقا، لكن منذ نهاية السبعينات إلى بداية الألفية الجديدة عرف الانتاج الروائي النسوي انفتاحا وتطورا على المستوى الكمّي والكيفي، ففي التسعينات، صدرت 6 نصوص روائية هي (لونجة والغول) لـ **زهور ونيسي** 1993 وبعدها أنتجت **أحلام مستغانمي** روايتها ذاكرة الجسد 1993، ثم فوضى الحواس سنة 1996، وبعدها نشرت **فاطمة العقون** روايتها " رجل وثلاث نساء " 1997 وفي 1999 كانت رواية (مزاج مراهقة) لـ **فضيلة الفاروق** ورواية عزيزة لـ **فاطمة عقون**، وفي سنة 2000، صدرت ثلاث روايات هي أوشام بربرية لـ **جميلة زنير**، ورواية (بين فكي وطن) لـ **زهرة ديك** و(بيت من جماجم) لـ **شهرزاد عام**، ثم توالت الاصدارات الروائية النسائية، حيث أصبحت الرواية بالنسبة للمرأة المتنفس الفعلي لهمومها ومعاناتها واهتماماتها، وبهذا احتلت الرواية الصدارة الأولى وأصبح

لها حضورا أقوى مما كانت عليه في أزمنة سابقة بعدما دخل العنصر النسوي في المجال السردي و أثبت حضوره الفعلي بوصفه ذاتا فاعلة في الخطاب الروائي وليس مجرد موضوعا منظورا اليه "[29] فعبّرت المرأة المبدعة عن قضاياها الذاتية وعن حياتها بكل تفاصيلها وجزئياتها والمتأمل الانتاج الروائي النسوي يلمح وجود قضايا وموضوعات مشتركة بين السّاردات فأحداث الخيانة والزواج، والطلاق، العنف، تنكر الأخر/ الرجل... الخ قد تواترت بشكل كبير في السرد النسوي، ولم يقتصر اهتمام الروائية الجزائرية على قضاياها الذاتية، وإنما تناولت مواضيع مختلفة عالجت فيها قضايا متعددة، فتبنت قضايا الوطن وغدا الموضوع المحوري لأغلب رواياتها، وعند تصفح معظمها يدرك القارئ للوهلة الأولى، أن أغلبها ظل شديد الارتباط بالقضايا الوطنية الكبرى التي عرفتها الجزائر، الاستعمار/ الثورة/ الإرهاب فكانت قضايا بارزة في أعمال الروائيات الجزائريات، وهذا ما يبدو واضحا في أعمال **زهور ونيسي** وثلاثية **أحلام مستغانمي** (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير)، وقد شكلت فترة العشرية السوداء تسمية بارزة في الرواية النسوية الجزائرية خاصة الروايات التي كتبت في العقد التسعيني فقد جاءت مصورة للموت اليومي والدمار الذي طال الوطن الأمر الذي جعل الكثير من الصحافيات يتحولن من مجال الاعلام إلى مجال الإبداع الأدبي مثل الكاتبة "**فضيلة الفاروق**"، " **ياسمينة صالح** "، **زهرة ديك**، كلهن اشتغلهن كصحفيات في فترة الأزمة التي عاشتها الجزائر ووقفن على بشاعة الحرب، وتجلت هذه الأزمة في العديد من المتون الروائية كرواية " الأسود يليق بك " لـ **أحلام مستغانمي**، رواية، " تاء الخجل" لـ **فضيلة الفاروق**، " وطن من زجاج " لـ **ياسمينة صالح**، و" بين فكي وطن " لـ **زهرة ديك** و"بعد أن صمت الرصاص" لـ **سميرة قبلي** ويعود سبب اهتمام الرواية بهذه القضية كون أن وضعها الاجتماعي لا ينفصل عن الوضع السياسي بشكل عام.

ومن خلال تتبعنا لمسار التطور تاريخي لنشأة وتطور النص الروائي النسائي، تبين لنا أن المبدعة الجزائرية استطاعت أن تصل بكتاباتها إلى مرحلة الوعي والنضج الفني والمعرفي والجمالي، كما أن " الرواية النسوية الجزائرية ذات التعبير العربي رغم حداثة عهدها وإقبالها على التجريب علامة تحول نوعي في المشهد الروائي الجزائري في العقد الأخير من القرن

العشرين حيث تبرز أن الرواية جنسا أدبيا لم يعد حكرا على الرجل وإنما يمارس نوعا من الاغراء ما فتىء يتنامى للمرأة الجزائرية الكاتبة التي خاضت مغامرة تجريبية بعد ممارستها أنواعا أخرى من الإبداع الأدبي كالشعر والقصة القصيرة "[30].

وما يمكن استنتاجه في آخر هذه اللمحة المختصرة والشاملة في نفس الوقت للكتابة الإبداعية النسوية في الجزائر هو أنها كتابة مرت بمراحل تاريخية هامة منذ بدايتها الأولى حتى الوقت الراهن، حيث أنجبت لنا أقلام منتجة لنماذج أدبية ناضجة وغنية، تساهم في تطوير أسئلة النقد الأدبي.

4-الهوامش:

[1] - يمينة عجناك: قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر (زهورونيسي أنموذجا) مجلة التبيين العدد 26، 1 يناير 2011.

[2] - يحي بوعزيز: المرأة الجزائرية وحركة الاصلاح النسوية العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة، الجزائر، دط، 2001 ص 4.

[3] -يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري) جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 70.

[4] - المرجع نفسه: ص 71.

[5] - أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1982، ص 8.

[6]- بشير يخلف: النص الأدبي النسوي تحدٍّ للمعوقات وتطلّعٌ إلى الحرية
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=301624.

[7] - فضيلة الفاروق: التجربة الابداعية في الجزائر، مجلة نزوى العدد 36 اكتوبر 2003 ص 259.

[8] - المرجع نفسه: ص 261.

* *Le Patriarcat* البطريكي: النظام الأبوي أو البطريكي هو نظام يسوده الرجل وتفرض فيه السلطة من خلال المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، ويلاحظ أن كل النسويات يعارضن النظام الأبوي وإن اختلفن في تصوراتهن له،] ينظر سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 483، ط1، 2002 ص 441.

[9]- يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري)، ص 57.

[10] - رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر، جابر عصفور دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص 202

[11] - يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري)، ص 56.

[12] - فضيلة الفاروق: التجربة الابداعية في الجزائر، ص 261.

[13] - مكرفون راديو صوت المرأة 28/03/2018.

[14] - يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري)، ص 82.81.

[15] - المرجع نفسه ص 81.

[16] - المرجع نفسه ص 86.

[17] - أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، ص 115.

[18] - المرجع نفسه ص 121.

[19] - المرجع نفسه ص 126.

[20] - نفسه: ص 136.

[21] - نفسه: 14.

[22] - نفسه: ص 30.

[23] - محاورة مع الباحث شربيط، حاورته: جميلة طلباوي نشر في الموقع بتاريخ السبت 23 ذو الحجة 1432، الموافق ل: 19/11/2011. *www.aswat.elchamal.com*

[24] - أحمد دوغان: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المعاصر، 29.

[25] - المرجع نفسه: ص 43.

[26] - نفسه: ص93.

[27] - أحسن ثليلاني: العجائبية في السرد النسوي الجزائري (المجموعة القصصية لجنية البحر) لجميلة زنير أنموذجا، مجلة تبيين، العدد 38، 2013.

[28] - هدى عماري: الرواية النسوية العربية الجزائرية من الحضور المحتشم إلى التأصيل. *https://www.asjp.cerist.dz*

[29] - الأخضر بن السائح: سرد المرأة وفعل الكتابة (دراسة نقدية في السرد وآليات البناء، دار التنوير الجزائر، د ط، 2018 ص13.

[30] - بوشوشة بن جمعة: بيبيوغرافيا الروائية النسائية الجزائرية (1993، 2003) مجلة التبيين يناير 2007 ص 133،

*** *** ***